قراءة في فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية

[زاوية الهامل– بوسعادة – ولايةالمسيلة]

أ.د عوفي عبد الكريم
جامعة أم القرى مكة المكرمة
المملكة العربية السعودية

توطئة:

يسعدني أن أقدم لقراء التراث ومحبي تتبع أخبار المخطوطات في الجزائر وأماكن وجودها قراءة توصيفية لفهرس مخطوطات زاوية من زوايا العلم في الجزائر ، كان لها دور في الحركة التعليمية والإصلاحية منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، وتحتفظ اليوم بكنوز من المخطوطات والوثائق التاريخية والثقافية والسياسية .

وقبل تقديم قراءتي للفهرس أوطئ للبحث بحديث موجز عن موقع الزاوية ونشأتها ومؤسسها وبعض أعلامها البارزين ، ثم إلماحة عن دور الزاوية في نشر العلم والمعرفة وأثرها في الحركة الثقافية وتوعية الناس بأمور دينهم ، وحثهم على المشاركة في الحركة الوطنية والمقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي.

تقع الزاوية على بعد حوالي (250) كلم جنوب العاصمة الجزائرية ، وتقرب من مدينة بوسعادة التاريخية ذات المآثر السياحية والطبيعة المتميزة في منطقة الحضنة شمال الصحراء الجزائرية .

وسكان الهامل حسب ما تشير إليه بعض الروايات ينحدرون من الأشراف بالمغرب الأقصى ، الذين ينتسبون إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهم يعتمدون في معيشتهم على الزراعة وتربية المواشي ، والاشتغال منذ زمن بتعلُّم القرآن الكريم وحفظه وتعليمه في الكتاتيب إلى جانب عنايتهم بالفقه وبعض العلوم الشرعية ، وقد عُرف عن الكثير منهم العمل في حقل التحفيظ والإفتاء والإمامة.[1]

[1] ينظر موقع : ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (التعريف بزاوية الهامل).

أسس زاوية الهامل الشيخ العلامة الجليل أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيح بن محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن منصور الشريف الحسني الجزائري ، الذي ولد ببادية الحامدية بحاسي بحبح قرب مدينة الجلفة , في شهر رمضان عام 1239هـ ، الموافق لعام 1823م.[2]

نشأ الشيخ في بيت علم وأدب ، وحفظ القرآن وهو صغير السن ، تلقى علومه في زوايا كانت قريبة من قرية الهامل ، وقد حصَّل علوم عصره ،كالنحو والصرف والبلاغة والفقه والأصول والفلك والمنطق ، وهي العلوم التي كانت سائدة في تلك الفترة ،تلقاها عن شيوخه في زوايا منطقة القبائل ، وقد وصل إلى درجة الإفتاء ، لأنه تميز بغزارة العلم . وقد علل الدكتور أبو القاسم سعد الله لهذه المكانة التي ارتقى إليها شيخ الزاوية بقوله :" وقد يكون ذلك هو الكرامة الحقيقية للشيخ ، لأن العلم هو أكرم كرامة للإنسان ، كانت سمعة الشيخ محمد بن بلقاسم العلمية والروحية تملأ الأفق ، ويسير بها الركبان ".[1]

تأسست الزاوية في ظروف صعبة فرضها المستعمر الفرنسي على المؤسسات التعليمية في الجزائر، كالكتاتيب القرآنية والمدارس والزوايا ، وأحاطتها بترسانة من القوانين الجائرة التي تخدم مصالحها ، وهي الوقوف في وجه العربية والعلوم الشرعية المستمدة من الرسالة السماوية ، إذ وجد فيها المستعمر منافسا قويا في صد وإفشال أطماعه وأهدافه الاستعمارية في الجزائر .

ولذلك وجدنا الشيخ المؤسس عندما عاد من رحلته في طلب العلم من منطقة القبائل يبادر إلى تأسيس الزاوية في عام 1279هجرية ، لنشر العلم وتعليم أبناء المنطقة والمناطق المجاورة ، وجعلها أيضا مركزا يأوي الإخوان والفقراء والأرامل والأيتام والمرضى.[2]

أمَّ هذه الزاوية خلق كثير من طلبة العلم من أنحاء مختلفة ، من الجزائر،كتيارت ، وشرشال ، وسطيف ، والمدية ، وبوغار ، والمسيلة ، والمعاضيد ، والضلعة ، وونوغة والجلفة ، وغير ذلك من القرى المجاورة ، ولاسيما مدن الجنوب الجزائري .كما كانت محجة ومزارا لعدد من العلماء ورجال الفكر من داخل الجزائر ومن خارجها .

---

[2] ينظر ترجمته في : تعريف الخلف برجال السلف 352/2، أعلام الجزائر 335، الأعلام للزركلي 9/7، تاريخ الجزائر الثقافي 218/3، فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية ، الملحق الخاص بتراجم شيوخها 502 ومابعدها.

[1] تاريخ الجزائر الثقافي 220/3.

[2] ينظر فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية 2، 3 .

تخرج فيها خلق كثير منذ تأسيسها ، وأذكر على سبيل المثال لاالحصر بعض الأعلام البارزين ، ومنهم : محمد الديسي، ومحمد الحاج القاسمي ، وحمدان الونيسي ، شيخ العلامة عبد الحميد بن باديس ، وعلي بن ابراهيم العقبي ، وأبو القاسم الحفناوي ، وحميدة بن الطيب الجزائري ، وغيرهم ممن يتبوأ اليوم مراكز عليا في القطاعات المختلفة في الوطن.

و ممن درَّس فيها : الديسي ، وعاشور الخنقي ، والمكي بن عزوز، وأحمد الأمين ، ومحمد ابن الحاج محمد، وغيرهم كثيرون ممن تحتفظ سجلاتها بأسمائهم .

كانت الزاوية تتبع الطريقة الصوفية الرحمانية ، ولها صلات وثيقة بقادة المقاومات الشعبية ، كالأمير عبد القادر والشيخ عبد الحفيظ الخنقي ، والشيخ الصادق بن الحاج ، والشيخ ابن الحداد ، ولأن شيخ الزاوية ومن خلفه كانوا على صلة بهذه المقومات والثورات كانت فرنسا تلاحقهم وتشدد الخناق عليهم ، لأنهم – كما قلنا سابقا- عملوا على نشر العلم وتوعية الناس وحثهم على التمسك بلغتهم ودينهم ووطنهم ، والوقوف في وجه العدو .[1]

وقد كان للزاوية أثر خطير على النواحي الثقافية والفكرية والسياسية في الجزائر [2].

يقول المستشرق الفرنسي جاك بيرك في إحدى مراسلاته الفكرية إلى شيخ الزاوية معبرا عن أثر الزاوية في نشر الوعي والفكر : "إن تاريخ زاوية الهامل يهم تاريخ المغرب العربي بأسره (...) وذلك لأنه في نفس هذا التاريخ بالذات ظهرت أيضا في المشرق البعيد بوادر النهضة وخصوصا في بيروت ".[3]

أما مخطوطات الزاوية فقد تم اقتناء بعضها عن طريق بعثات الحج ، وبعضها الآخر عبر الطرق التجارية المعروفة في العهد الفرنسي.[4] ولم يتوقف الأمر على هذين العاملين ، إذ عمل شيوخها المتعاقبين على إدارة شؤونها على تنمية مقتنياتها عن طريق الشراء من الجزائر وتونس والمغرب ، والإهداء والوقف ، حيث كان بعض العلماء يهدون مخطوطات وكتب نفيسة إلى شيوخ الزاوية ،

---

[1] فهرس مخطوطات المكتبة القاسيمية 3 ، 4. أنبه القراء إلى أن علاقة الزاوية بالمقاومات الشعبية والثورة التحريرية ، موضوع واسع والاسترسال فيه يصرفنا عن الغاية من تقديم الفهرس. ولعل أحد طلبة جامعة الجلفة ينهض ببحث هذا الموضوع في رسالة علمية .

[2] وأشير هنا أيضا إلى الدور الذي قامت به ابنة الشيخ (لالا زينب) بعد توليها إدارة شؤون الزاوية ، بفضل فطنتها وحكمتها في التعامل مع قضايا التي سادت المجتمع إبان مشيختها للزاوية ، نرجو أن ينهض أحد طلبة الدراسات العليا بتجلية دورها في الحركة الثقافية والسياسية والإصلاحية في رسالة علمية ، لأنها واحدة من النساء اللائي سجلن أسماءهن من ذهب في تاريخ الحركة الثقافية والسياسية في الجزائر.

[3] تاريخ الجزائر الثقافي 220/3، وفهرس المكتبة القاسمية 2.

[4] تاريخ الجزائر الثقافي 369/5.

وبعضهم يوقفها ويحبسها على الزاوية لتكون في متناول طلبة العلم الذين يؤمون الزاوية من مناطق مختلفة ، والاستنساخ أيضا إذكان شيوخها يحثون الطلبة على استنساخ المخطوطات ذات القيمة العلمية الرفيعة التي ألفها علماء مشهورون ، والتأليف من قبل العلماء الذين عُرفوا في المنطقة ممن كان حضورهم العلمي قوي في الزاوية ، أمثال محمد بن عبد الرحمن الديسي ، وعاشور الخنقي ، والمكي بن عزوز حتى تتوفر مصادر العلم والمعرفة لروادها.[4]

وفي الوثائق التي تحتفظ بها الزاوية إشارات كثيرة إلى هذه الطرق والمصادر التي كانت روافد وزادا ثريا لتنوع ما تحتفظ به مكتبة الزاوية على مر السنين .

وسيأتي الكلام عن الفهرس ، ونعرف من خلاله أن الزاوية تشتمل على وثائق ورسائل كان يتبادلها العلماء مع شيوخ الزاوية من داخل الجزائر ومن خارجها ، وهو ما يشكل مصدرا من مصادر التاريخ الثقافي لهذه الزاوية خاصة ، وللجزائر عامة .

فمن هو معد الفهرس ؟ ، وما هي خصائص منهجه ؟ ، وما طبيعة المخطوطات والوثائق التي تم توصيفها فيه ؟ .

الفهرس من إعداد الأستاذ محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني شيخ الزاوية ، طبعته دار الغرب الإسلامي ببيروت عام 1427هـ/2006م .

يقع الفهرس في(544) صفحة من الحجم العادي ، مجلد ، ورقه أصفر، عدد مخطوطاته حوالي(2000) مخطوطة ووثيقة ، لم يرقم المفهرِس المخطوطات ، واكتفى بالترتيب على حروف المعجم .

أما منهجه فإن المفهرس لم يتبع فيه منهجا محددا ، فهو يعرض أحيانا المخطوطات بالتوصيف التفصيلي الموسع ، مع الاستطراد ، وأحيانا أخرى يصف المخطوطات والوثائق توصيفا عاديا ، وتارة أخرى يذكر المخطوطات على شكل قوائم عادية ، ومع أن الفهرس مطبوع فإنه غير متداول في المكتبات العامة والخاصة .

ومجالاته العلمية التي يشملها هي : علوم القرآن ، ومنها: المصاحف ، وأسباب النزول ، والتجويد ، والتفسير، والرسم القرآني ، والقراءات ، ومتشابه القرآن ، والحديث وعلومه ، ومنها :

---

[4] تاريخ الجزائر الثقافي 220/3 وما بعدها ،5 / 369، 370. وينظر أيضا فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية، الملحق الخاص بتراجم شيوخها 502 وما بعدها.

الجرح والتعديل ، والحديث ، ومصطلح الحديث ، والسيرة النبوية ، والتاريخ ، والتراجم ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والأدب ، والفلسفة ، والمنطق ، والفلك ، والأنواء ، والفقه ، وأصول الفقه ، والفقه الحنفي ، والفقه الشافعي ، والفقه المالكي ، والتصوف .

وكما هو واضح من هذه الفنون والمعارف غلبة المجالات المعرفية في علومي: العربية ، والشريعة .

أما عناصرالبطاقة التوصيفية المعتمدة في الفهرس فقد أبان عنها المؤلف في التمهيد (ص5- 12) ، تحت عنوان (منهجنا في الفهرسة) ، وهي تشمل : العنوان ، واسم المؤلف ، وأول المخطوط ، وآخر المخطوط ، والناسخ ، وتاريخ النسخ ، ومكان النسخ ، والخط ، والمداد، والأوراق ، والمقياس ، والأسطر، والكلمات ، ونوع الورق ، والتأطير، والتجليد ، والمراجع ، والجزء ، وذكر عدد النسخ الموجودة منه ، ورقمه في الخزانة ، والترجمة الموجزة لأصحاب المخطوطات ، والشراح ، والمحشين ، والمقيدين ، والمعلقين ، و الإحالة على مظان الترجمة ، وكذلك النسخ أو الشروح المماثلة للمخطوط إن وُجدت ، والمجاميع وهي أنواع ، والنسخ المحجوبة .[وهي – كما ذكر المفهرس- تلك النسخ الخطية التي طبعت ، أو أنها ذات قيمة علمية وتاريخية وفنية ، أي : مُزخرفة ، ولكونها قديمة قد تتعرض للتلف نتيجة اللمس وتقليب صفحاتها باستمرار].

ذكر المفهرس بعد بيان منهج الفهرس جملة من الفهارس ؛ للمؤلفين ، (ص13- 22)، والموقعين (ص 23- 24) ، والناسخين المغاربة (ص 25- 30) ، والناسخين المشارقة (ص31- 32).

وبعد هذه المسارد الفنية شرع المفهرِس في ذكر المخطوطات القديمة المنمقة ، متبوعة بالمصاحف الشريفة (ص 33- 40).

ثم عرض المخطوطات على حروف المعجم (ص41 – 462) ، وقد رأيت أن أقدمها في جدول إحصائي تقريبي حسب ورودها في الفهرس ، على النحو التالي :

الحرف	عدد المخطوطات	ملاحظات
أ	81	مكررة
ب	25	مكررة

ت	80	مكررة
ث	2	/
ج	36	مكررة
ح	74	مكررة
خ	7	/
د	197	مكررة
ذ	1	/
ر	51	/
ز	11	/
س	18	/
ش	94	مكررة
ص	5	/
ض	4	/
ط	3	/
ظ	/	/
ع	29	مكررة
غ	4	/
ف	56	مكررة
ق	65	مكررة
ل	16	مكررة
م	133	مكررة (نسخ كثيرة)
ن	32	مكررة
هـ	3	/
و	16	مكررة

مجلة التراث مخبر جمع المخطوط بجامعة الجلفة 2014

ي	3	
المجموع	1043 مخطوطة	

ويلي هذا التوصيف للمخطوطات فصل خاص بالرسائل الخاصة (ص463- 502) التي بعث بها جمع من أعلام الفكر والإصلاح ، من الجزائر والمغرب الأقصى ، وتونس ، ومصر ، والحجاز، والشام ، وفرنسا إلى شيوخ الزاوية منذ تأسيسها على يد الشيخ محمد ابن أبي القاسم الحسني الشريف الهاملي وانتهاء بالشيخ الخليل بن مصطفى القاسمي ، الذي بذل جهدا في جمعها والحفاظ عليها . وأغلب هذه الرسائل بخطوط أصحابها ، وهي تُعد من الوثائق النادرة .[1]

وعدد الأعلام الذين وردت هذه الرسائل منهم إلى شيوخ الزاوية (76) علما ، أما مجموع الرسائل التي أرسلوها فبلغت (333) رسالة ، وأذكر من أصحابها على سبيل المثال لا الحصر: الأمير عبد القادر الجزائري ، وعبد الحميد بن باديس ،و الباي محمد الطيب أمير الأمحال في تونس ، والمستشرق الفرنسي جاك بيرك ، والزاهري محمد السعيد السنوسي، وابن عاشور محمد الفاضل بن محمد الطاهر ، والقاياتي ، وعبد الوهاب محمد ابن عبد الجواد بن عبد اللطيف الشافعي المصري ، والكتاني محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد أبو الإقبال الحسني الإدريسي . وقد بلغت رسائله (19) رسالة، ومالك بن نبي ، والمسعدي عبد القادر بن إبراهيم النائلي ، وقد بلغت رسائله(21) رسالة، والمقراني الحاج محمد باشا آغه بن أحمد ، والطاهر بن علي بن أبي القاسم بن العبيدي ، وقد بلغت رسائله (52)رسالة .

وجاء بعد هذه الرسائل ملحقان ؛ أولهما خاص بتراجم بعض أعلام الزاوية ، وفيه ترجمة لسبعة من شيوخ الزاوية (ص 502- 505).وثانيهما خاص بقائمة مخطوطات الشيخ محمد بن عزوز القاسمي الحسني (ص506- 533). وقد نبه المفهرس أن "هذه المكتبة لم تعد في المتناول ، وإنما ألحقها بهذا الفهرس للتاريخ فقط ".[2]

وهذه القائمة رُتبت ترتيبا ألفبائيا ، وصُدّرت بالمصاحف ، وعددها عشر.ثم ابتدأها بحرف الألف إلى حرف الياء . وهذا جدول إحصائي لعدد المخطوطات حسب كل حرف هجائي:

---

[1] فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية 463.

[2] فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية 506. لعله يريد تنبيه الدارسين والباحثين في الشأن الثقافي والتاريخي للزاوية أن يُراعوا هذا الجنب ، لأن هذه المخطوطات تمثل حلقة أساسية في تاريخ الزاوية.

الحرف	العدد	ملاحظات
أ	47	لاشيء
ب	14	لاشيء
ت	48	لاشيء
لاشيء ث	5	لاشيء
ج	15	لاشيء
ح	48	لاشيء
خ	5	لاشيء
د	8	لاشيء
ذ	4	لاشيء
ر	36	لاشيء
ز	2	لاشيء
س	5	لاشيء
ش	80	لاشيء
ص	1	لاشيء
ض	/	لاشيء
ط	5	لاشيء
ظ	/	لاشيء
ع	11	لاشيء
غ	7	لاشيء
ف	25	لاشيء
ق	19	لاشيء
ك	14	لاشيء
ل	4	لاشيء

مجلة التراث مخبر تحو المخطوط جامعة الجلفة 2014

م	55	لاشيء
ن	23	لاشيء
هـ	2	لاشيء
و	8	لاشيء
ي	1	لاشيء
المجموع	494 مخطوطة	

وأعقب هذه القائمة بذكر المجاميع التي بلغ عددها (46) مجموعا ، يضم كل واحد منها عددا من المخطوطات والرسائل يتراوح عدد كل مجموع واحد منها بين (2- 15) مخطوطة أو رسالة

ثم ذكر المفهرس المجاهيل ، وعددها(96) مخطوطة ، وهي إما مجهولة العنوان ، أو مجهولة المؤلف . وهذه المجاميع والمجاهيل تمثل شتى فنون العلم والمعرفة .

إن هذا الإحصاء الذي قمت به يفيد أن المكتبة القاسمية تحتوي على أزيد من ألفي (2000) وثيقة خطية بين مخطوط ورسالة ، وهو عدد كبير، يعكس جهود الزاوية في نشر العلم وخدمة طلابه منذ تأسيسها ، ويبدو أن عدد مخطوطاتها أضعاف ما ذكر، وذلك في الفترات السابقة

إن العدد الكبير من الرسائل والوثائق التي ذُكرت في الفهرس غير المخطوطات ، نتوقع أن تكون مادة علمية ثرة لطلبة العلم ، ولمن أراد الكتابة عن تاريخ الحركة الثقافية في الجزائر، ولاسيما منطقة بوسعادة التي كانت موطنا لأعلام بارزين في مجالات فنية وغيرها، وذلك على غرار ما فعله شيخنا الجليل الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله في موسوعته المتميزة " تاريخ الجزائر الثقافي ".

ومما يحسن ذكره أيضا بشأن هذا الفهرس هوأن الزاوية تحتفظ بكنوز من الوثائق والمخطوطات ، ولاسيما الإجازات [1]التي كان يجيزها علماء الزاوية والمنطقة الذين درسوا فيها لطالبيها من طلاب العلم ورجاله ، كالمكي بن عزوز ، والقاسمي ، والكتاني ، والعثماني ، والعبيدي ، والطرابلسي ، والسنوسي ، والرياحي ، والديسي، والحفناوي ، والجزائري ابن الحفاف ، والخالدي ، والداودي ، والنقشبندي ، والهيجاني ، والوتري ، والعمالي .

[1] بشأن هذه الإجازات ينظر:فهرس المكتبة القاسمية 8-10.

ولتقريب الفهرس للمهتمين بالاستفادة من المخطوطات ؛ دراسة وتحقيقا أقدم اختيارات من الفهرس لعناوين بعض المخطوطات والكتب التي تحتفظ بها مكتبة الزاوية تمثل مجالات معرفية متنوعة ، أذكرها على سبيل المثال لاالحصر ، لأن الفهرست –كما أشرت _ يحتوى على حوالي (2000) مخطوطة ووثيقة عدا الكتب المطبوعة :

فمخطوطات الفقه تمثل نسبة عالية مما تحتفظ به مكتبة الزاوية، ويأتي في مقدمها نُسخ كثيرة من كتاب مختصر خليل بن إسحاق المالكي ، و شرح عبد الباقي الزرقاني ، وشرح الخرشي على مختصر خليل، وشرح إبراهيم الشبرختي على المختصر ، وحاشية على شرح الزرقاني لمحمد بن الحسن البناني ، و مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للحطا ب ، و حاشية الدسوقي على الشرح الكبير .

أما التفسير فقد جاء في وثيقة من شيخ الزاوية محمد بن أبي القاسم إلى الشيخ المختار ابن عبد الرحمن الحدباوي أن تفسيرالخطيب الشربيني يأتي في مقدمة التفاسير التي كانت تدرس في الزاوية ، ثم كشاف الزمخشري ، والجلالين للسيوطي وتفسير البيضاوي ، وأبي السعود، والفخر الرازي ، والخازن لعلاء الدين البغدادي ، والنسفي لحافظ الدين أبي البركات، والإتقان للسيوطي.

وفي المكتبة حوالي مائة مخطوطة ورسالة في علوم القرآن ، موزعة بين المصاحف والتفاسير ، منها: تفسير الجلالين ، والسراج المنير في شرح معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ولباب التأويل في معاني التنزيل: تفسير الخازن ، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ، وتفسير بن جزي .

وفي علوم الحديث ورد في رسالة رفع النقاب للشيخ الديسي ،– وهو يترجم للشيخ محمد بن أبي القاسم – أنه كان يدرس مجموعة من كتب الحديث ويختمها مرات كثيرة ، كالموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم ، والجامع الصغير ، وشروح شمائل الترمذي ، وشرح الأربعين النووية وكتاب ابن أبي جمرة ، وشفاء القاضي عياض ، ولذلك تتوفر مكتبة الزاوية أيضا على مجموعة كبيرة من كتب ومخطوطات الحديث وعلومه ، تقل نسبيا عن نسبة مخطوطات علوم القرآن ، ومنها: الجامع الصحيح للبخاري في أربعة مجلدات ، وصحيح مسلم ، وشرح موطأ الإمام مالك بن أنس لأحمد الزرقاني ، و موطأ الإمام مالك ، وبهجة النفوس وغايتها بمعرفة ما لها وما عليها ، وكنوز الحقائق في حديث خير الخلائق للإمام المناوي ، والفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية ، للشبرخيتي ، وإرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني .

وفي حقل التصوف سبق لنا القول :إن الزاوية تتبع الطريقة الرحمانية ، ولذلك لاغرابة أن نجد في مكتبتها كثيرا من المخطوطات الصوفية لأعلام بارزين ، كالقشيري ، والسكندري ، والشعراني

وابن عباد ، وابن عربي ، والثعالبي ، ورسائل بن عبد الرحمن الأزهري ، وعبد الرحمن باش تارزي ، ومحمد أمزيان الحداد ، وغيرهم .

إذْ في المكتبة قرابة مائة مخطوط ، منها : أنيس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس ، ومدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين ، للزغلي ، و عوارف المعارف للسهروردي ، والمفاخر العلية في المآثر الشاذلية للنفزي ، والرسالة القشيرية للقشيري ، وروض المحب الفاني فيما تلقيناه عن التيجاني ، و بغية السالك في أشرف المسالك ، لمحمد ابن محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي ، و التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم ، و غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، لمحمد بن إبراهيم بن عباد النفزي ، و رياض الصالحين وتحفة المتقين للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، و فصوص الحكم ، و العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة ، و تنبيه الأنام في الصلاة على النبي عليه السلام ، و الرموز والإشارات لأحمد بن يوسف الراشد الفاسي.

وأما في مجال اللغة والأدب فنجد عددا كبيرا من المخطوطات ، تأتي بعد مخطوات الفقه من حيث كثرتها ، إذ تبلغ زهاء أربعين ومائة مخطوط ، ومنها: القاموس المحيط ، و المصباح المنير ، وألف باء للبلوي ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، و تنوير الحوالك على منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، وشذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام ، و شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ، و قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ، و مجموعة من شروح الأجرومية ، و مقامات الحريري .

وفي التاريخ والتراجم تحتفظ المكتبة القاسمية بأزيد من أربعين مخطوطة في التراجم والسير والتاريخ ، منها: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المسماة بالسيرة الحلبية ، والاكتفاء في أخبار الخلفاء للسيوطي ، و نور الإنسان في شرح سيرة ولد عدنان ، ومعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، و عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، لمحمد أبي رأس بن أحمد بن ناصر الناصري ، و نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للحسين بن محمد السعيد الورتلاني ، والاكتفاء في أخبار الخلفاء ، و ترتيب المدارك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك .[1]

[1] ينظر بشأن مخطوطات ووثائق الزاوية : فهرس المكتبة ، والمكتبة القا سمية بالجزائر ونفائس المخطوطات.

وفي نهاية هذه القراءة أخلص إلى جملة من الملحوظات والاقتراحات آمل أن تلقى من قرأة التراث المخطوط ودارسيه في الجزائر من يعمل على تحقيقها في الواقع العملي ، داخل الجامعات ومراكز البحث العلمي على اختلاف مجالاتها المعرفية ، وهي :

1 إن هذا الفهرس يعد لبنة تؤسس لإعادة بعث تراثنا المخطوط المسكوت عنه زمنا طويلا ، قياسا بما هوعليه الوضع عند جيراننا في المغرب الأقصى وتونس ، وبلدان المشرق العربي عامة.

2 الفهرس من إنجاز واحد من شيوخ الزاوية ،أدرى من غيره بماتحتفظ به الزاوية ، من مخطوطات ووثائق ، وأخبر بشؤونها وأخبارها وتاريخها الطويل ، فهو ثقة ، وماكتبه لايتطرق إليه الشك ، لأنه داخل في مسار الحركة الثقافية للزاوية ، وبعث لنشاطها ، وتمكين لطلبة العلم والباحثين داخل الوطن وخارجه.

3 قد يبدو في منهج إعداد الفهرس شيء من النقص ، ولكنه مقبول ولا اعتراض عليه، لأن مؤسساتنا الرسمية ويأتي في طليعتها المكتبة الوطنية لم تفعل مافعلته الزاوية القاسمية حين أنجزت فهرستا لمحتويات مكتبتها ، وطبعته على نفقتها ، فالمكتبة الوطنية رغم الجهود التي تُبذل فإنها لم تستطع أن تصدر فهرسا واحدا لما تحتفظ به من كنوز تراثية حسب ما اطلعت عليه خلال ترددي عليهافي السنوات العشرين الماضية ، باستثناء إعادة طبع فهرس (إيدمون فانيان) عام 1995م ، أي : بعد أكثر من مائة سنة ، وليس فيه جديد سوى مقدمة مدير المكتبة يومها الأستاذ محمد عيسى وموسى ، ولعل ما يحمد للمكتبة الوطنية في هذا المجال هو العمل مع طلاب علم المكتبات بجامعة الزائر على إعداد مذكرات التخرج ورسائل الماجستير حول فهرس (فانيان) المذكور،إذْ أُعيد ترجمته وترتيب مواده ، وفق قواعد فنية جديدة ، وهي محمدة يُشاد بها ، لكن للأسف بقيت تلك الأعمال كما هي كأنها مخطوطة تحتاج إلى طباعو وإخراجها من رفوف المكتبة لتستفيد منها الأجيال [1].

ولإخواننا في جمعية التراث بغرداية جهود تُشكر في صناعة مجموعة من الفهارس للتراث المخطوط في مكتباتهم الخاصة ، وإن كانت لم تُطبع بعد أيضا .

[1] تناولت هذا الفهرس بالدرس والتوصيف وما أثاره من حركة علمية في كتابي (صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر من1830 إلى2010م) .(تحت الطبع).

أما فهرس زاوية طولقة الذي سعينا لإنجازه ورحلنا إلى الزاوية عشرات المرات ، ومنُعنا من إنجازه ، نفاجأ بصدوره تحت رعاية السفارة الأمريكية بالجزائر ، وفهرس مخطوطات مكتبة الموهوب أولحبيب ببجاية طبعته مؤسسة الفرقان بلندن.

أما الكتاب [الفهرس][2] الوحيد الذي طبعته جهات رسمية فهو (التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج) للدكتور مختار حساني . هذا الفهرس شوه مؤلفه التراث المخطوط الجزائري ، لم أقرأ في حياتي فهرسا محرفا تحريفا شنيعا مثله، فهو أحق بالإعدام من أن يُوضع في مكتباتنا، لأنه ينقل معرفة خاطئة للأجيال.

أقول : عدا ما ذُكر فلا نجد حضورا للجهات الرسمية في العناية بطبع الفهارس المنجزة في المكتبة الوطنية أو في جهات أخرى .لذلك نشيد بفهرس الزاوية القاسمية من هذه الناحية.

4 ولأن الفهرس طُبع في بيروت ، ولايُتداول على نطاق واسع فإني آمل كما يأمل كثير من خدمة التراث في جزائرنا الحبيبة أن يُعاد طبع الكتاب في الجزائر، ولاسيما ونحن على مقربة من قسنطينة عاصمة للثقافة الإسلامية.

5 -كما أقترح على الإخوة في جامعتي: الجلفة من خلال (مخبرالمخطوطات) ، وجامعة المسيلة، خاصة ، وعلى الجامعات الأخرى عامة أن توجه طلبة الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه) نحو هذه الزاوية لتحقيق ما تحتفظ به من مخطوطات نادرة ، وذات قيمة علمية رفيعة ، وإعداد أبحث ودراسات حول شيوخ الزاوية وأعلامها الذين درسوا فيها ممن كانت لهم بصمات واضحة في المجال الفكري والثقافي والسياسي ، وكذلك استنطاق تلك الوثائق التي تحتفظ بها لكشف الجواب الخفية في حياتنا الثقافية ، وذلك على نحو ما نجده في كتاب شيخ المؤرخين الجزائريين أبي القاسم سعد الله أ مد الله في عمره . وصلى الله على سيدنا محمد

كتبه أ.د/ عبد الكريم عوفي

مكة المكرمة في 2013/12/7م.

[2] لم يسمه المؤلف الفهرس ،كما هو مبين في عنوانه .

المصادر والمراجع

1. الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط: 7، 1986م .
2. أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر : عادل نويهض ، مؤسسة نويهض للنشر ، بيروت ، ط:3 ، 1983م.
3. تاريخ الجزائر الثقافي– تسعة أجزاء– : د.أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط:1، 1998م.
4. تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (16-20 م) : د.أبو القاسم سعد الله ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1401هـ-1981م .
5. تعريف الخلف برجال السلف : أبو القاسم محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي بن سيدي ابراهيم الغول ، تح: محمد أبو الأجفان ، وعثمان بطيخ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط: 1، 1982م.
6. صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر (من 1830إلى 2010م): د/ عبد الكريم عوفي (مخطوط تحت الطبع).
7. فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية : محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني ، دار الغرب الإسلامي ، ط:1، 1427هـ/ 2006م.
8. مقابلات خاصة مع بعض أعلام الزاوية .
9. المكتبة القاسمية بالجزائر ونفائس المخطوطات: كعياش فارس ، مجلة مركز ودود للمخطوطات ، موقع دونكم إرثكم ، 2010/03/31م .
10. موقع : ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (التعريف بزاوية الهامل).

مجلة التراث جامعة الجلفة 2014 مارس